لماذا ألّفوا؟ 1 - 3

وراء تأليف كل كتاب أسباب

محمد بن عبدالله الفريح - كاتب ومفكر
مدير إدارة النشر والترجمة شركة العبيكان للتعليم
malfriah@obeikan.com.sa

يختلج في نفسي منذ زمن ليس بالقريب سؤال يلحّ علي إلحاحاً شديداً عن سبب قيام مؤلفي الكتب بكتابتهاودونها، ولماذا يبذلون في ذلك الغالي والنفيس من المال والجهد والوقت والعناء والسهر، ومن ثم وقعت عيناي على كتب ذكر مؤلفوها أسباب الشروع في كتابتها في مقدمة كتبهم، فأخذت ذلك مدخلاً لجمع ما يقع تحت يدي من أسباب تأليف الكتب بحسب رواية مؤلفيها أو ناقليها، وتبايَنت الأسباب عن جمعها في مناح عدة منها العقديّ والفكريوالهوس بالجديد والتحدي وتصحيح مفهوم خاطئ وفكرة يدونها صاحبها خوفاً عليها من الضياع والنسيان، منها ما هو مضحك جداً، ومنها ما هو مبك، ولعلنا نسرد في هذه العجالة بعض عناوين الكتب وأسباب تأليفها، وسوف نتوع في موضوعات الكتب، تجنباً لملل القارئ وسوف نسردها على ثلاث حلقات متتابعة بإذن الله، وقد حدد الكاتب جهاد الخنيزي، خطوات تأليف كتاب في سبع مراحل، في حديث عن تجربته في الكتابة وخطوات صنع الكتاب، وقال: إن هذه المراحل مهمة جدًا في تجربة الكاتب، لافتًا إلى أن جميع الكتّاب الشباب الذين يبحثون عن فرصة للكتابة ينبغي أن يمروا بهذه المراحل السبع، موضحاً أن المراحل الأولى تبدأ عندما يشعر المرء بوجود ضرورة أن يقول شيئًا للآخرين، فتبدأ الخطوط الأولى أو الكلمات الأولى لصناعة الكاتب، ومن ثم يبدأ الشعور بقلق الجهل ورغبة في التخلص من هذاالقلق، ثم التأملات الأولية. وأضاف أن المرحلة الثالثة تتمثل في بداية الكتابة الأولى البسيطة والساذجة، التي تسمى بالمخطوطات الأولى، فيما يمكن تسمية الخطوة الرابعة وهي الأهم، بـ التأملات الثانية يكون التأمل فيها جدلًا ذهنيًا «جدل المعرفة» بين الكاتب والواقع والتناقضات الموجودة فيه، إلى أن تأتي مرحلة يكتب فيها المؤلف، ويقول وينطق، مشددًا على أن هذه المرحلة «حرجة»، وتصنع الكاتب في أن يقول، وهنا يبدأ ظهور الكاتب الأولي، وإذا أخذ القرار، وقرر أن يكتب يدخل في المرحلة اللاحقة، وهي التأملات العميقة، التي تنتج رأي الكاتب، ومعرفته بالأسباب والنتائج. وتابع: هذه في النهاية الأطر التي تشكل المرحلة السابعة، وهي وجود الكتابين أيدي القراء.

ونبدأ باستعراض سريع لبعض المؤلفات وأسباب وضعها:

كتاب صحيح البخاري:

قال أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله: كنا عند إسحاق بنراهوية، فقال: لو جمعتم كتابًامختصرًا لصحيح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال:فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح، فبدأ منذ ذلك بجمع الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كتاب التدمرية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد سألني من تعينت إجابتهم أن أكتب لهم مضمون ماسمعوه مني في بعض المجالس، من الكلام في التوحيد والصفات، وفي الشرع والقدر، لمسيس الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين، وكثرة الاضطراب فيهما، وقيل أيضًا إن السؤال كان من بعض أهل تدمر.

كتاب (الواسطية):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه الفتاوى: كان سبب كتابتها – أي الواسطية – أنه قدم عليّ من أرض واسط بعض قضاة نواحيها – شيخ يقال له رضي الدين الواسطي من أصحاب الشافعي – قدم علينا حاجًا وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التترمن غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون له عمدة له ولأهل بيته، فاستعفيت من ذلك، وقلت قد كتب الناس عقائد متعددة، فخذ بعض عقائد أئمة السنة، فألح عليّ في السؤال، وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة، في مصر والعراق، وغيرهما.

كتاب (كليلة ودمنة):

كتاب ألفه الفيلسوف الهندي(بيدبا) للملك دبشليم، وفي أوائل القرن السادس الميلادي أرسل الملك الفارسي محب الحكمة كسرى أنوشروان الطبيب الفارسي (برذويه) ليقوم بنقل الكتاب من الهندية إلى الفهلوية، وهي الفارسية القديمة، ثم في منتصف القرن الثاني الهجري نقله ابن المقفع إلى العربية. ويشاء الله أن تكتسب النسخة العربية أهميه عالمية بعد فقد الأصل الهندي واختفاء الترجمة الفارسية، وكأنما حملت النسخة العربية مسؤولية الحفاظ على هذا الكتاب وتقديمه إلى طلاب المعرفة ومتذوقي الفن القصصي، وعلماء الأخلاق والسياسة عبر العصور، وتمر السنون فإذا الناس لا يذكرون إلا ابن المقفع ناسبين إليه كليلة ودمنة، والحق أنه إذا كان هذا الكتاب يحمل ملامح ثلاث حضارات هي الهندية والفارسية والعربية... فإن بصمات ابن المقفع تبدو واضحة جلية فيه، وتجعله مثلاً يحتذى تتراءى لنا من خلاله مدرسة ابن المقفع وطريقته المبدعة في النثر الفني.

وتبدأ قصة تأليف الكتاب بغزو الإسكندر بلاد الهند وثورة الشعب عليه، التي أدت من ثم إلى تولي الملك (دبشليم) العرش، وقد كان مغروراً ظالماً، ما دفع الفيلسوف (بيدبا) إلى نصحه، فسجنه، لكنه ندم فيما بعد، فأطلقه، وقربه إليه، وجعله وزيراً له، يستشيره في كل الأمور، وقد طلب منه أن يضع خبرته ونصائحه في كتاب، فكان هذا الكتاب الذي يرمي إلى إصلاح الأخلاق وتهذيب العقول، وكل ذلك على لسان كليلة ودمنة وهما حيوانان من الفصيلة الكلبية أصغر حجماً من الذئب، والحديث على لسان الحيوانات ليس إلا من قبيل الأدب الرمزي.

كتاب (الجواب الكافي لمن سأل الدواء الشافي):

سئل الإمام العالم العلامة الحافظ الناقد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر الذي عرف "بابن قيم الجوزية"

رحمه الله: ما تقول العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين: في رجل ابتلي ببلية، وعلم أنها إن استمرت به أفسدت دنياه وآخرته، وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل الطرق، فما يزداد إلا توقداً وشدة فما الحيلة في دفعها؟ وما الطريق إلى كشفها؟ فرحم الله من أعان مبتلى، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، أفتونا مأجورين، فجلس فيما بين صلاة العصر إلى صلاة المغرب مستعرضاً ما قد يطرأ على القلب من أنواع الشهوات والفتن والمعاصي، فنفع الله بهذا الكتاب خلقًا كثيرًا،فالشيخ ابن قيم الجوزية يمتاز أسلوبه بالبساطة والوضوح مع الرصانة والمتانة في الوقت نفسه.

كتاب (العبودية):

سبب تأليف ابن تيمية لهذا الكتاب: أنه سئل ذات مرة عن قوله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم). فما العبادة؟ وما

فروعها؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا؟ وما حقيقة العبودية؟ وهل هي أعلى المقامات في الدنيا والآخرة أم فوقها شيء من المقامات؟ فأخذ على عاتقه توضيح هذه الأسئلة من خلال كتابه.

كتاب (صفة صلاة النبي ﷺ) للألباني:

ولما كنت لم أقف على كتاب جامع في هذا الموضوع؛ فقد رأيت من الواجب عليَّ أن أضع لإخواني المسلمين ممن هَمُّهم الاقتداء في عبادتهم بهدي نبيهم ﷺ كتاباً مستوعباً – ما أمكن – لجميع ما يتعلق بصفة صلاة النبيﷺمن التكبير إلى التسليم؛ بحيث يُسَهِّل على من وقف عليه من المحبين للنبي صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حبّاً صادقاً القيام بتحقيق أمره في صلوا كما رأيتموني أصلي"، ولهذا فإني شَمَّرت عن ساعد الجدّ، وتتبعت الأحاديث المتعلقة بما إليه قصدت من مختلف كتب الحديث؛ فكان من ذلك هذا الكتاب الذي بين يديك، وقد اشترطت على نفسي ألا أورد فيه من الأحاديث النبوية إلا ما ثبت سنده؛ حسبما تقتضيه قواعد الحديث الشريف وأصولُه، وضربت صفحاً عن كل ما تفرد به مجهول، أو ضعيف؛ سواء كان في الهيئات، أو الأذكار، أوالفضائل وغيرها؛ لأنني أعتقد أن فيما ثبت من الحديث غُنيةً عن الضعيف منه؛ لأنه لا يفيد – بلا خلاف – إلا الظن؛ والظن المرجوح، وهو كما قال تعالى:﴿ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ النجم: ٢٨ . وقال ﷺ : (إياكم والظنَّ ! فإن الظنَّأكذبُ) الحديث.

(صفة صلاة النبي ﷺ) للألباني:

ألَّف الإمام الشافعي الكتاب بناءً على طلب من الإمام عبدالرحمن بن مهدي المُحدِّث الشهير؛ حيث طلب منه: "أن يضعَ كتابًا فيه معاني القرآن، ويَجمع مقبولَ الأخبار فيه، وحُجَّة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسُّنة".

كتاب الإنصاف لابن الأنباري

قال: فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباءالمتفقهين المشتغلين علي سألوني أن ألخص لهم كتابًا لطيفاً يشتمل على مشاهيرالمسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعيوأبي حنيفة؛ ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب، وألف على هذاالأسلوب؛ لأنه لم يصنف عليه أحد من السلف، ولا ألف عليه أحد من الخلف.

كتاب (معاني القرآن) للفراء:

يروى في سبب إملاء هذا الكتاب أن عمر بن بكير كان من أصحابه-الفراء- وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء أن الأمير الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً وتجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت! فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهميومًا!

كتاب (الاشتقاق) لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد:

وكان الذي حدثنا على إنشاء هذا الكتاب، أن قوماً ممن يطعن على اللسان العربي، وينسب أهله إلى التسمية بما لا أصل له في لغتهم، وإلى إدعاء ما لميقع عليه اصطلاح من أوليتهم، وعدوا أسماء جهلوا اشتقاقها ولم ينقد علمهم في الفحص عنها، فعارضوا بالإنكار واحتجوا بما ذكره الخليل بزعمهم: أنه سألَ أبا الدُّقيش: ما الدُّقيش؟ فقال: لا أدري إنما هي أسماء نسمعها، ولا نعرفُ معانيهَا وهذا غلط على الخليل، وإدعاء على أبي الدقيش، وكيف يَغبَى على أبي عبد الرحمن الخليل بنأحمد نضر الله وجهه مثل هذا، وقد سمع العرب سمَّت: دَقّشاً ودُقيشًا ودَنقشًا، فجاءوا به مكبَّراً ومحقراً، ومعدولاً من بنات الثلاثة إلى بنات الأربعة بالنون الزائدة. والدَّقش معروف، وسنذكره في جملة الأسماء التي عَمُوا عن معرفتها، ونُفردلها باباً، وبالله العصمة من الزَّيغ، والتوفيق للصواب.

كتاب (الإغراب في جدل الإعراب لابن الأنباري):

قال في مقدمته: فإن جماعة من الأصحاب اقتضوني بعد تلخيص كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) تلخيص كتاب في جدل الإعراب معرّى عن الإسهاب، مجرّد عن الإطناب؛ ليكون أول ما صنف لهذه الصناعة في قوانين الجدلوالآداب، ليسلكوا به عند المجادلة والمحاولة والمناظرة سبيل الحق والصواب، ويتأدبوابه عند المحاورة والمذاكرة عن المناكرة والمضاجرة في الخطاب.

فأجبتهم على وفق طلبتهم طلباً للثواب، وفصّلته اثني عشر فصلاً على غاية من الاختصار تقريباً على الطلاب. فالله تعالى ينفع به إنه كريم وهاب.

كتاب (معرفة السنن والآثار):

قال مؤلف الكتاب عن سبب تأليفه: ثم إني رأيت المتفقهة من أصحابنا يأخذهم الملال من طول الكتاب، فخرجت ما احتج به الشافعي من الأحاديث بأسانيده في الأصول والفروع مع ما رواه مستأنسًا به غير معتمد عليه أو حكاه لغيره مجيباً عنه على ترتيب المختصر، ونقلت ما وجدت من كلامه على الأخبار بالجرح والتعديل والتصحيح والتعليل. وأضفت إلى بعض ما أجمله من ذلك من كلام غيره ما فسره، وإلى بعضما رواه من رواية غيره ما قواه ليستعين بالله تعالى من تفقه بفقه الشافعي رحمه اللهفي كتبه هذا الكتاب وحفظه وسماعه، ليكون على وثيقة مما يجب الاعتماد عليه من الأخباروعلى بصيرة مما يجب الوقوف عليه من الآثار، ويعلم أن صاحبنا رحمنا الله وإياه، لميصدر باباً برواية مجهولة، ولم يبن حكماً على حديث معلول، وقد يورده في الباب على رسمأهل الحديث بإيراد ما عندهم من الأسانيد. واعتماده على الحديث الثابت أو غيره منالحجج، وقد يثق ببعض من هو مختلف في عدالته على ما يؤدي إليه اجتهاده كما يفعله غيره. ثم لم يدع لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة بلغته، وثبتت عنده حتى قلدها، وما خفي عليه ثبوته علق قوله به: وما عسى لم يبلغه أوصى من بلغه باتباعه، وترك خلافه، وذلك بين في كتبه وفيما ذكر عنه من أقاويله.

كتاب (دفع إيهام الاضطراب) للشيخ محمدالأمين الشنقيطي رحمه الله:

قال الشيخ عطية محمد سالم في كتابه «مع الأخ أحمد جمال العتاب قبل الجواب: وحقيقة هذا الكتاب وسبب تأليفه يخصني في الدرجة الأولى، وأستطيع أن أقول: إنما وضع بسببي إن لم يكن من أجلي، وذلك حينما كنت أقرأ على الشيخ رحمه الله تفسير سورة البقرة، وكان رحمه الله مخصصاً لي حصة يومياً ما بين المغرب والعشاء. ومكثت فيها مدة سنتين في تلك الحصة، وكان رحمه الله يأتي بما فتح الله عليه من دقائق التفسير ولطائفه. على أن تفسير هذه السورة يعد أساساً لتفسير القرآن كله. فكان رحمه الله يمعن في بيان شتى علوم القرآن من بلاغة ولغة وأصول وأحكام، وغير ذلك وخاصة بيان أوجه الجمع بين بعض الآيات التي ظاهرهاالتعارض، وبيان أقوال السلف في ذلك ابتداء من قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢ مع قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ البقرة: ١٨٥ ومثل قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ الصافات: ٢٤ مع قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ الرحمن: ٣٩ ومثل ذلك كثير مما هو مسطور فيالكتاب. فسألته: وهل يوجد تأليف يوقف طالب العلم على هذه الأوجه للجمع بين تلك الآيات؟ فأجاب: إنه لم يطلع على مثله.

ورغبته في وضع رسالة في ذلك خدمة لكتاب الله وتسهيلاً لطلاب العلم، لأنها توهم كما يوجد في الأحاديث ما يوهم، ويحتاج إلى بيان أوجه الجمع. فشرع رحمه الله في تأليفه في أوجز وقت، وذلك في عطلة المذاكرة قبل الاختبار حوالي العشرين يوماً، وأعطانيه أبيضه للطبع فكانت لي دراسة خاصة لجميع نقاطه، وكنت أعرف الناس بموضوعه، وقد أشار رحمه الله في مقدمته بأوضح عبارة حيث قال ما نصه:

أما بعد، فإن مقيد هذه الحروف عفا الله عنه أراد أن يبين في هذه الرسالة ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التي يظن بها التعارض في القرآن العظيم. فترى أنه عفا الله عنه ورحمه أراد بيان أوجه الجمع ودفع الظن عن كتاب الله، فكان رحمه الله عالماً ولم يكُ متوهماً وحاشاه رحمه الله من مثل ذلك مع ما أعطاه الله من فهم في كتاب الله.

20 خطوة للوصول إلى كتابة رائعة

أن تكتب يعني أن تقتحم العالم باللغة

غادة عبد الله العمودي
ماجستير التعليم الإلكتروني

الكتابة هي الباصرة ذات الأبعاد المتعددة التي يطل من خلالها الفكر والإلهام والشعور، بل هي صورة الإرادة البشرية في أوج قوتها على البرهان عن ذاتها، كما أنها تميمة الخلود التي حارب الإنسان بها الضوء والنسيان. ورغم الأهمية التاريخية التي أولاها علماء الحضارة العربية الإسلامية للكتابة كفعل إنساني، ودلالة على الوعي، وتنامي العمران البشري، ثم استحداثهم للعديد من الفنون الكتابية المندرجة تحت القسمين الكبيرين: الشعر، والنثر ؛ إلا أننا لم نرث عنهم تلك الحماسة للكتابة حين اعتبروها همًا حقيقيا، ومنتهى الدلالة على مكنة الكاتب في حرفته الفكرية. إذ لا نشهد في أيامنا هذه أي عناية بإنشاء مدرسة علمية تعكف مناهجها على تلقين وتقنين قواعد الكتابة العربية الراقية، ويكون لها مصنفات في تدريس المهارات الكتابية، وإثراء الحياة العربية بالمطبوعات والمنشورات التي تبثّ الشغف بالكتابة في نفوس أمة القراءة والكتابة. إن الكمّ الحاصل اليوم في الطفرة الكلامية على مستوى الصحف والمجلات ومواقع الإنترنت، لا يدل بالبداهة على الوجه المشرق للكتابة الرصينة، ولا عجب؛ خاصة ونحن نقرّ أن الكتابة هي مرآة الفكر وليست رتوشاً على حواف التفيهق والثرثرة. ثم على الجانب الآخر من الوجود الفاعل، نرى الغرب يفردون للكتابة معاهد ومدارس وأقساماً علمية في الجامعات والدراسات العليا، بل حتى الدورات العملية عبر الإنترنت، كلها تهدف إلى إشاعة الروح الكتابية في المجتمع، ونرى فرحة الكاتب – من كل الطبقات وبقطع النظر عن عمره أو تخصصه العلمي أو مستواه الاجتماعي– نجد فرحته الكبرى حين يخرج كتاباً يروي به روحه ويحفر وجوده على صفحة مجتمعه حاضراً ومستقبلاً. صحيح أن قسماً من صنعة الكتابة في الغرب قد غلب عليها الجانب التجاري، ولعل هذا ما أدى إلى رواجها والتفنن فيها، ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن هذا الرواج التجاري قد رافقته دراسات مستفيضة في الأساليب الكتابية، واختراع المواد الدراسية، والوسائل التقنية الكفيلة بتشجيع كل ذي قلم في المجتمع الغربي على أن يكتب ويكتب ثم يكتب. إننا نعجب على سبيل الإشادة وليس النكران؛ أن نرى في تلك المجتمعات دور نشر يزيد عمرها عن المئة عام وما تزال تتصدر حيوية المشهد الثقافي وتعتز بقدرتها على التغلب على مختلف الظروف الشائكة التي مرت بها في نضالها الثقافي لتظل ماسة عريقة في سوق النشر والكتاب. ويردف ذلك المجلات والدوريات التي يزيد عمرها عن الخمسين عاماً وكل فعلها هو تجديد الروح الكتابية في أممها، فتقرأ دورية مثل: رايترز دايجست Writers Gigest (1920م)، وتراها عبر عقودها الطويلة ما تزال تنجح في تحقيق هدفها الأول والأخير، وهو إخراج الكتاب الرائعين الذي يخدمون الثقافة الأمريكية خاصة، والناطقة بالإنجليزية عامة. حتى لقد تحولت من مجلة شهرية إلى جامعة شاملة للكتابة وقضاياها ذات الصلة، فتخرج المؤلفات وتدعم الباحثين وتعقد المؤتمرات الدولية المتعددة خلال العام، جاعلة من الكتابة بقاءً بها ولها. ويعزّ علينا في المقابل أننا لا نجد أي مجموعة من الكتاب الغيورين من العرب ممن لهم القدرة على تأسيس نشاط مؤثر طويل المدى يخدم الكتابة العربية، رغم استقرار ما هو معلوم من الفطرة العربية بالضرورة من أن الكتابة هي التي حفظت لنا أعظم كتاب أنزله الله من السماء، وهي البقاء المشروط لكل نشاط حضاري يبرز لنا وجودا بين الأمم.

عشرون خطوة للوصول إلى كتابة رائعة

1. لماذا تكتب؟ نعم، لابد لكل كاتب في أي مستوى من التأليف والكتابة أن يظل يسأل نفسه سؤال الكتابة المصيري: لماذا أكتب؟ إن الإجابة الصريحة على هذا السؤال هي انعكاسة ضوئه على الأشياء من حوله، فكل كاتب إنما يكتب انطلاقاً من التباينات الدقيقة بين الألوان التي يكشفها همّه الكتابي. (قد يكون من الجميل قراءة النص المنشور في المدونة تحت عنوان "لماذا نكتب؟").

2. ماهو إلهامك؟ إن كل كاتب يرجو أن يظل سائراً بثبات خلال أشواك الهزيمة المتشابكة على دربه؛ لابد وأن يحمل في داخله شعلته المقدسة؛لأن الكتابة هي إحدى المراتب العليا التي لا يبلغها الوجود الإنساني إلا عندما تكتمل فيه القدرة على استحداث الحياة من الموت، والعافية من البلاء، والنور من الظلمة، بل والوجود من العدم؛ فما الذي يجعلك تستمر في الكتابة ؟ إنه الإلهام .. فمن أين يأتيك الإلهام ؟(قد يكون من الجميل قراءة مداخلة المدونة تحت عنوان " لحظة الإلهام")

3. الكتابة عمل ذاتي في المقام الأول، ولكن ماذا عن الذات الأخرى القارئة؟ لا نشكك أن الكاتب إنما دافعه لتحمل مشاكسة الفكرة والقلم هو شعوره الحثيث لتقدير الذات وإثبات وجوده، ولكن ماذا لو أن دائرة الضوء تحولت من الذات الداخلية إلى الذوات الأخرى المنتشرة من حولنا؟ ألن نكون أكثر سعادة لو أننا أدخلنا الحب على قلب آخر.. لو أعرنا الأمل لنفس كئيبة.. لو كشفنا الحجاب أمام عقل ضال ..!؟ أن يحول الكاتب تفكيره عن نفسه؛ ليفكر في قارئه، محاولاً إضفاء المزيد من السكينة والسعادة على حياته من منثور سطوره هو، لاشك وأن ذلك سيعود على الكاتب بأفكار أرقى، ومن جهة أخرى فالهبات المكتسبة هي أعمق وأشمل من تحقيق الشهرة على مستوى الكتابة فحسب، فهناك أصدقاء مختلفون يتواجدون في كل سطر، وفرص جديدة ستولد مع كل كلمة، بل إن أبجديات جديدة للحياة ستعلن عن نفسها ليتعلم منها الكاتب كيف يجدّد فكره ويهذّب سطوره كلما ضنّت عليه قريحة القلم، إن المكافآت لا تحصى لو أن نوافذ الكاتب كانت مشرعة لأكبر من مساحة عينه الواحدة.

4. افتح قلبك للعالم! ادخل إلى مشاكل القراء، حاول أن تتعامل مع القارئ كصديق افتراضي يسألك دوماً النصيحة وينتظر منك أن تفهمه بل أن تعبر عنه.كن أكثر تسامحاً معه وأعطه من وقتك كما تعطي صديقاً قديماً لا تملّ شكواه .(قد يكون من الجميل قراءة مداخلة المدونة تحت عنوان " الكتابة من القلب")

5. شارك القراء لحظاتك الخاصة. صحيح أن النواة في الخيال الكتابي تكمن في اختراع الأشخاص والمواقف وتوليد الأفكار التي قد لا تتشكل إلا في خيال الكاتب وحده، إلا أن اللفتات الصغيرة التي ينثرها الكاتب عن حياته الخاصة أمام القراء تجعله قريباً من قلوبهم، وتثير في داخلهم شعوراً بالوفاء والامتنان لأن يفتح الكاتب قلبه لهم ويستأمنهم على أحزانه وأفراحه، تماماً كما أن الفارق بين القريب والبعيد، وبين الحبيب والغريب، وبين الصديق والعابر؛ إنما هو بمقدار ما ننثره أمامهم من أسرار ومخبئات نراها أغلى من أن يطلع عليها إلا من نحب ومن نصطفي! و أجدر بالكاتب أن يحب قارئه!

6. هل تعلم ماهي خصيصة آدم الأولى ليكون مفضلاً على الملائكة؟ التعلم! لقد تعلم آدم الأسماء أول ما نُفخت فيه الروح، وفي هذا دلالة على أن القدرة والرغبة والإرادة كلها تجتمع في معنى واحد داخل النفس الإنسانية عبر فضيلة التعلم. لذا حاول أن تمارس دور المعلم الناصح لقرائك، لا تكن فوقياً وعظياً، ولا أرسطياً سفسطائياً، ولكن أن تكسب قراء يقرؤون كي يتعلموا بعقولهم كما يشعرون بقلوبهم، فهؤلاء هم الذخيرة التي تتركها ذكرا صالحا لك. أي أن الخلاصة هي: اكتب وعلّم، فلا أكرم من المعلم.

7. الروحانية نور لا يخبو داخلنا، حتى ونحن نعارك المعصية أو نتخطى حواجز الفضيلة، إن اللمسة الروحية المتمثلة في الكلمة الصادقة هي وحدها التي تعيدنا لرشدنا، وتلمس فينا تكريماً ضاع منا على حين غفلة. لذا لا تجعل كتاباتك تخاطب الحجر والشجر، فأنت لست مكلفاً بذلك، وبالطبع فإن حتى الحجر والشجر لهم قدر من الروحانية ولكنها في مستويات لا نفهمها نحن! كن مرشداً لقارئك نحو المعالي، كن صوت روحه المتطلعة إلى السمو، اجعل كتاباتك بما تحويه من جرعات روحية وتأملية رحلة معراج تجعل القارئ دائم الأمل بأنه لن يخرج من الرحمة مـ دامت الحياة تطلّ عليه بأنفاسها. (قد يكون من الجميل قراءة مداخلة المدونة تحت عنوان "ما الذي يجعل كتاباتنا عظيمة وخالدة")

8. مع أن الحياة ستظل من حولنا مصدر قلق لا ينقطع بما تحمله من أخبار سيئة من أقصى الأرض وأدناها، إلا أن القارئ حين يأتي على كتاب ما، فلابد أن يجد فيه شيئاً زائداً على الحياة وإن كان مستمداً من الحياة. كن كاتباً ساخراً في بعض سطورك، أثِر الضحكة على أفواه قرائك، واجعل البسمة همّا تحمله بين سطورك، تماماً كما تحمل الوفاء للألم والدمع. إن أعظم الكتاب هو من يستطيع أن يصفي الماء عذباً من الملح، ويهديه بكأس العافية، ويعطره بروح الدعابة، فإن الطعام الطيب يصبح سماً خطيراً لو تناوله مزاج سيء!

9. هل جربت مرة أن تسأل قراءك عن اهتماماتهم ومشاكلهم وأمنياتهم؟ إن القراء هم أفضل مصدر لأفكار الكاتب، إنهم بكل تناقضاتهم وتنوعاتهم لا يقلون أهمية عن القراءة واكتساب المعرفة من أمهات الكتب أوتتبع أعمال أشهر المؤلفين في التاريخ. حاول أن تلتقي بهم دوماً وتتناقش معهم أطروحاتهم، اتركهم يتكلمون بسجيتهم، بأحلامهم، بآمالهم، وحتى بأحزانهم، فإنما يكمن جمال الحياة في أننا مختلفون، ومع كل اختلاف تأتي قصة عجيبة، ومهمة الكاتب الذكي أن يحبك خيوط هذه القصة ويعيد سردها كما يودّ القارئ أن يراها. (قد يكون من الجميل قراءة مداخلة المدونة تحت عنوان " عودة إلى الأسئلة")

10. هل قرأت كتاب"المحاضرة الأخيرة" للدكتور راندي بوتش، الأستاذ في جامعة كارنيجي ميلون؟ لقد حققت هذه المحاضرة أعلى نسب المشاهدة على مواقع الفيديو الاجتماعي، كما أنها حققت مبيعات عالية حين طُبعت على هيئة كتاب، وقد تمّت ترجمته إلى العربية. لقد كانت هذه المحاضرة رائعة لأن كاتبها كان في آخر مراحل حياته مع معاناة مرض السرطان، فأراد لها أن تكون ذكرى له، ورسالة حب لآخرين في حياته. لقد كتبها بروح عالية جداً استطاعت أن تحتفظ بوهجها حتى بعد وفاته. حاول أن تكتب دوماً وكأن كتابتك الراهنة هي محاضرتك الأخيرة! أقصد تخيل لو أن السطور التي بين يديك هي آخر نص ستكتبه قبل أن ترحل عن الدنيا، كيف تودّ أن يقرأك الآخرون بعد رحيلك؟ في الكتابة التجارية يقال اكتب وكأن البندقية مصوبة إلى

رأسك! لأن شعور العقل الباطن بالخطر يجعله متحفزاً ليعطي أفضل ما عنده. جرّب هذه التقنية وسترى أنها فعّالة في الاحتيال على قريحتك.

11. الجميع يتعرض للرفض ..الجميع! إذا رفض أحدهم كتاباتك وقال لك (لا)؛ فلا تبتئس، بل قل لنفسك إنه هو الخاسر وليس أنا! لقد خسر شيئاً جديداً لم يشاهده قبلاً في حياته ولن يعرفه إلا من سطوري. ثم اندفع بكل قوتك نحو امتطاء الأمل بأنك ستسمع كلمة (نعم) في المرة القادمة، أو ربما التي بعدها، أو ما بعد بعدها !.. لابد وأن تأتي كلمة (نعم) لا محالة، وحينها لن تكون مضطراً لتذكر الرفض إلا على سبيل التّندر أو الحكاية عن رحلة كفاح ناجحة.

12. في علم الأحياء يقال بأن الجسم يكون في أقوى حالاته حين تندفع كمية عالية من الأندروفين في الدم، ولا يصل الجسم لإفراز هذا الهرمون إلا بعد تمارين رياضية قوية ومستمرة حيث يصل التعرق إلى أعلى درجاته في الخلايا، حينها تكون اللياقة الجسدية مكافئة للجهد المبذول. وهذا القانون ذاته ينطبق على الكتابة، فأنت لن تصل إلى أوج حالاتك الكتابية ولياقتك الفكرية إلا بالعرق المشوب بالرياضة الكتابية، والجهد المضمخ بالتعب من المحاولات والتجارب المستمرة والعنيفة كذلك؛ فالكتابة ليست مهمة سهلة، بل لا يتوفر للكاتب نصيباً منها إلا بتحولها إلى هاجس وأرق وسعي وتضحية بل وفداء. وكما أن العصامية هي سمة الناجحين في الحياة فإن الكاتب هو أحوج الناس لتعلم هذه العصامية لتكون أسلوب حياة مستمر لا مرحلة موقوتة. هل جربت مرة أن تسأل نفسك: كم من العرق والدمع أضع في كتابتي ؟ كم مقدار الهمّ والقلق الذي واكب كل كلمة في سطوري ؟ كم من التضحيات بذلتُ في سبيل أن أعثر على الفكرة وأقيّدها بالقلم ؟ (قد يكون من الجميل قراءة مداخلة المدونة " لماذا كل يوم كتابة؟ ")

13. ارجع دوماً إلى الأساسيات ولا تتوقع الوصول إلى القمة. الكاتب لا يفتر عن مراجعة ذاته وحصيلته الفكرية والمهارية، إنك ككاتب ستظل طوال مشوار تنقّسك الكتابي بحاجة إلى التعلم واكتساب الخبرات وحضور ورش العمل ومتابعة كل جديد ومفيد في مجالك، عليك أن تتواضع كي تتعلم من كل أحد، وأن تقرأ كل شيء، وأن تظل في اطلاع على كل تطور في محيطك الكتابي.

14. لا تقارن نفسك بالآخرين، ولا تجعل كل همّك أن تتفوق على أحد، بل تفوّق على نفسك أنت وحدك. إن مشكلة المقارنة في عالم الكتابة أنها توصل الإنسان إلى الفشل و الإحباط من أقصر الطرق، وغالباً ما يكون طريقاً لا عودة منه! اجعل طموحك عالياً ولا تفتر بأنك أفضل من آخر، فلعل ثالثاً آخر في أرض ما يكون أفضل منكما معاً!

15. الكتابة غير المنتهية: همّ وحزن وعجز وكسل! يحدث دائماً – وليس أحياناً – أن نندفع في كتابة فكرة ما، ثم ما إن نصل إلى جزء من النص حتى تتبلد فينا القوى، ونترك الورق على أمل عودة لا تتحقق غالباً! ثم ننتقل إلى عمل آخر ونترك السابق مبتوراً، ثم إلى آخر ونتركه مسخاً!... وهكذا تتراكم في أدراجنا وأوراقنا أعمال غير منجزة، فننسى بماذا بدأنا وماذا كانت خططنا لإكمال كل واحد منها !؟ وحتى نتخلص من حضورها المؤرّق؛ فإما أن نلقي بها، أو نَصْفرّ قواعدها لتذكرنا بعجزنا وكسلنا! فما هو الحل للسطور غير المكتملة؟ قد تساعد الخطوات التالية في تخفيف هذه المشكلة أو التخلص منها:

• توقف عن البدء بعمل جديد: قاوم رغبتك الجامحة لابتداء أي نص جديد، إذ مهما كانت مشاعرك متّقدة تجاهه إلا أنه سرعان ما يخبو بريقه وتفقد شغفك به بمرور الأيام والأسابيع حين يتحول إلى عمل آخر غير منجز في ملفاتك المتخمة. أما إذا خفت أن تفقد الفكرة الجديدة فدوّنها في مفكرتك بصورة مختصرة على أن تعود إليها لاحقا وليس الآن.

• قم بعمل جدولة لمشاريعك المؤجلة. قسّم هذه المشاريع إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: النصوص النشطة: وهي التي لا تزال تحمل لها في داخلك أفكاراً حيوية وتشعر بتواصلك النفسي معها.

الفئة الثانية: النصوص الميتة:لابد أن تعترف أن هناك نصوصاً ميتة لا تستحق أن تقطع بها وقتاً لأنها لن تعود للحياة.

الفئة الثالثة: النصوص المؤجلة: وهي التي تشعر أنك ستعود إليها لاحقاً في المستقبل بعد اكتمال قراءة أوسع أو استكمال

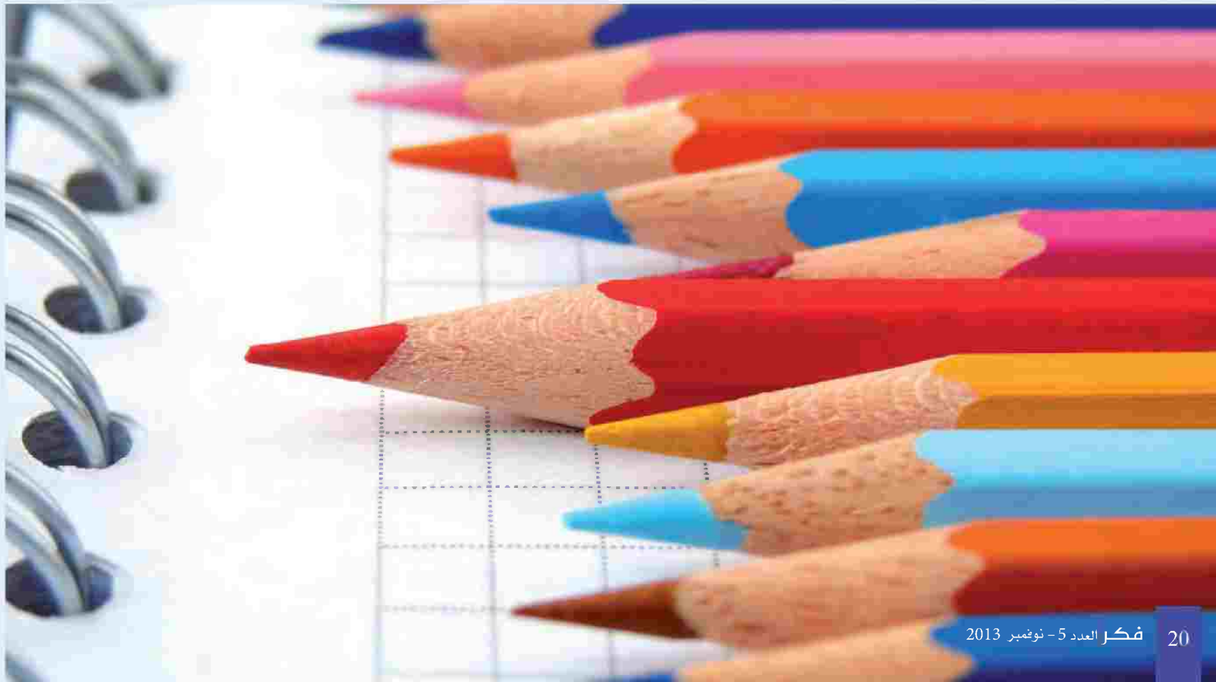

عمليات البحث التي تجريها حول أفكارها.

• اختر مشروعاً كتابياً واحداً وضع كل تركيزك فيه. إن هذا لايعني أن تتوقف عند هذا المشروع فحسب، ولكن اجعل له أولوية زمانية كي تمنحه جهداً أكبر وتركيزاً أعمق لتسرع عملية نضجه. اختر بنفسك هذا المشروع واجعل لخيارك مبرراً كي يظل وقوداً يمدك مرحلة عملك عليه.

16. هناك الكثير من الأوهام في عالم الكتابة التي ترسخت لدينا وصارت أشبه بالقواعد الثابتة مع أنها لا ترتكز على مبررات تجعلها منطقية أو مقبولة. منها مثلاً أن الكتابة عملية بطيئة، أو أن الكاتب الحقيقي هو الكاتب البطيء! وعلى العكس تماما؛ فإن السرعة في الكتابة مطلب كل كاتب وأمنيته الأثيرة؛ لأن مشاريعه دائماً مفتوحة وقابلة للتعديل والتغيير، وإليك الخطوات التالية لزيادة سرعتك في الكتابة:

1. ضع خطوطاً عريضة لكل مقالة أو قصة أو نص كتابي، هذه ليست خطوطاً نهائية ولكنها تساعدك في تدفق الأفكار والوصول إلى تداعي المعاني الذي تريد.

2. اضبط مهمة واحدة فقط في الزمن الحالي؛ ذلك أن تضارب الأعمال الحياتية مع وظيفة الكتابة يشتّتها. حين تبدأ بالكتابة قم باستبعاد كل مسؤولياتك الأخرى وذكّر نفسك أنك الآن تكتب وتكتب فقط.

3. تخلص من النقد الذاتي المدمر: إن صوت الناقد داخلنا لايفتر، وهو يشتت افكارنا او يبعث اليأس في نفوسنا، فيؤثر على سرعة إنهائنا لأعمالنا، أو يجعلها تخرج مضطربة مشوشة. تعلّم ألّا تسمع لهذا الصوت، ومارس كل طاقتك في التركيز على الكتابة بصرف النظر عن العائد منها.

4. جرّب أن تسجل صوتك وقت توافر الإلهام عليك. إن الكتابة بالقلم أو حتى الطباعة على لوحة المفاتيح لن تستطيع أن تلاحق التدفق السريع للأفكار الذي يباغتنا فجأة، فلو شعرتَ بالتعب من الكتابة باليد أو الطباعة الآلية؛ شغّل جهاز تسجيلك فوراً واستمر في الكتابة صوتاً، وحين تهدأ قليلا ارجع ودوّن وصحح ما سجلت وكتبت.

5. لا بد من الذهن الصافي! الكتابة لا تقبل التعدد، فالذهن الصافي المتوحد هو السبيل الوحيد لاستجماع القوة النفسية والروحية اللازمة لتدفق الأفكار. احرص على الاسترخاء قبل القيام بأي مشروع كتابي، وخذ وقتك في تصفية ذهنك وخاطرك من ضجيج واقعك القريب لتستقبل إلهامات تستحقها سطورك.

6. ضع عبارة (آخر موعد لتسليم النص القادم)! لعلك تذكر أن أكثر الكلمات التي كانت تسبب لنا القلق والحماسة معاً أيام دراستنا؛ تلك اللزمة المائجة (آخر موعد لتسليم الإجابات يوم كذا، وسيتم إسقاط كل ورقة يتم تسلّمها بعد هذا التاريخ!) أنت كذلك اجعل لنفسك موعداً أخيراً لتسليم النص والتزم به وعاقب نفسك لو خالفته، وكافئها لو أحسنت الانضابط به.

7. ماهو زمنك الخاص؟ حسناً كلنا يعلم عن الساعة الحائطية وساعة اليد، ولكن من يعلم عن ساعة القلب والفكر؟ إن الزمن في العاطفة والعقل مختلفان تماماً، ذلك أن زمانهما إرادي يأتي حين يقرران هما وحدهما أن يبدآه. حاول أن تتدرب على معرفة هذا الزمن كي تدخل فيه مباشرة ولا تضيّع وقتاً في انتظاره. وإليك سرّ هذا الزمن: (امسك ورقة وقلماً وحاول أن تكتب نصاً ما، اجعل نفسك على طبيعتها ولا تقصرها على حالة ما ولا تعجل عليها، حين تشعر أنك قد وصلت إلى قمة انشغالك بنصك تأمل ماذا يحدث في عقلك ونفسك من أحوال: تأمل، حرارة، تفكير في اتجاه معين ... استجمع الخطوط العامة لهذه الحالة؛ ومنها جميعاً يتشكل زمنك الخاص. وفي المرات القادمة كلما بدأت بالكتابة تعلم أنك لن تبدأ في الإنجاز الحقيقي إلا حين يصل قلبك وعقلك إلى هذه الحال، فتعمل مبكراً على الدخول بها كي تختصر على نفسك الوقت الذي يذهب في الحيرة والتشتت. بهذا تكون قد عرفت زمنك الداخلي.

8. المكان. المكان له دور في تسريع الكتابة، فلو حاولت الكتابة في جو يبعث على العصف الذهني حول ما تكتب؛ فإنك تختصر جهداً ووقتاً فيما لو كنت في مكان عقيم. قد يكون هذا المكان مقهى، أو حديقة عامة، أو غرفتك الخاصة ..إلخ. المهم ان يكون مكانا تشعر انه يبعث فيك الحماسة للكتابة.

9. اضبط ساعتك. تحدثنا عن الموعد الأخير للتسليم، ولكن ماذا عن الزمن الذي تستغرقه في الكتابة؟ كم تكتب كل يوم: ساعة، ساعتين، أم عشر دقائق؟ اجعل للكتابة زمناً يستحقها لا تسمح بأن يزاحمها غيرها، ومع استمرار تعاهد هذا الزمن المحدد فإنك تهيّئ نفسك وعقلك للدخول مباشرة في وعي الكتابة؛ إنه فنّ التحايل على العقل كما يتحايل هو علينا !.

10. الشغف: كن شغوفاً لأقصى درجات الشغف بنصّك الذي تكتبه، تأمله كميلاد جديد في حياتك القصيرة على هذا الكوكب، اجعل حوله كل أحلامك التي ترجو أن تراها، اربطه بأقصى أمنياتك، وكأنه المفتاح السحري الذي يفتح لك بوابة المغارة الذهبية: وظيفة مرموقة، عروس جميلة، صداقة وفية، مال وفير، سكينة وشعور بالرضا ... اربط دوماً بين سطورك التي تكتبها وأكثر الأشياء التي تجعلك تشعر بالبهجة، إن هذا لا يؤثر فقط في سرعة الكتابة ولكن في جودتها كذلك، وإذا أردت أن يحترمك قرّاؤك، وأن يحبوا كتاباتك فلابد أن تحبها أنت أولا. (قد يكون من الجميل قراءة مداخلة المدونة تحت عنوان " الشغف يزداد ولابد ")

17. كن لطيفاً أنيقاً مع نفسك، وتذكّر أن ما من نهاية ولا فرقة للإبداع وتقدير الذات، إن كلا الأمرين متصلان ببعضهما، لن تستطيع الكتابة وأنت ناقم على نفسك أو محتقِر لها، حاول دوماً أن ترتقي بثقتك بنفسك، وتُرقّي من نفسك. (قد يكون من الجميل قراءة مداخلة المدونة تحت عنوان" كتابة الأيام السبعة ")

18. اعرف نفسك. اعرف اتجاهاتك في القراءة، ومن خلال هذه الاتجاهات تستطيع أن تفهم نفسك أكثر، حيث تفهم في أي أنواع الكتابة أنت أقدر.

19. توقف عن القراءة وابدأ في الكتابة! قد تبدو هذه النصيحة عبثية، ذلك أن أولى بدهيات الكتابة هي القراءة ثم القراءة ثم القراءة! نعم ولكن القراءة ذاتها قد تتحول إلى أداة تدمير لا بناء، حين تكون تعلة للهروب من مسؤولية الشروع في الكتابة، أو تصبح نوعاً من تبديد الوقت والتمرن على الكسل المقنع !! إن الكتابة مهارة تقوم على الجانب العملي التطبيقي تماماً كما يغذيها الاطلاع النظري الفلسفي، فمسوداتك المتتالية هي أكبر صورة صادقة المعالم لتتعلم منها. لذلك اجعل قراءتك تدور حول موضوعك الذي تكتب فيه: فأنت لا تقرأ فقط؛ ولكنك تتعلم جوانب جديدة لفكرتك الوليدة، وتقوم بمهارة البحث العلمي في شواردها. لذا؛ اكتب أولاً، ثم ابحث عن كتاب مناسب لكتابتك، وهذا سيجعل قراءتك مثمرة.

20. أتقن فنّ قراءة النماذج. حين تقرأ أي كتاب لا تكتف فقط بأن تجعله عدداً في قائمة قراءاتك الوفيرة، بل عوّد نفسك على تتبع خط الكاتب في كتابه، فمثلاً ماهي النماذج الإنسانية التي وضعها في روايته، وكيف كان مجرى حياة كل نموذج منها، وكيف كانت خاتمة هذه النماذج، اكتب ذلك في مفكرة خاصة لتستفيد منها في جمع أكبر عدد من الحبكات الدرامية تستفيد منها حين تكتب روايتك القادمة. لا نقصد هنا أن تكون مقلّدا لغيرك، بل أن تكون على بيّنة من نقاط الاشتراك الإنساني، فلن يقبل منك القارئ أن تكسر قانوناً في الطبيعة، أو تقلب سنّة قدرية أو كونية، فشئنا أم أبينا هناك (قواعد) في الحياة لا يقبل العقل الإنساني تجاوزها، ويجب أن يكون الكاتب على وعي بهذه القواعد وكأنها معادلات قيمية ووجودية لابد وأن يضمّنها كتاباته فيما لو أراد أن يصل إلى قرائه عزيزاً مكرّماً.

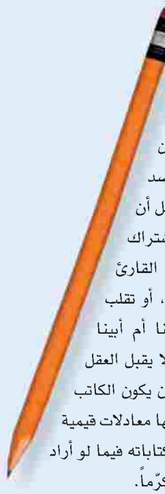

وختاماً: فالسطور الأخيرة هنا تتصل بمداخلة المدونة "تجربتي الكتابية ".

معركة التعليم: أمة في خطر (1 - 2)

د.فؤاد بوعلي - المغرب
مستشار وزير الاتصال (الإعلام)

منذ الخطاب الملكي تناسلت المقالات والتعليقات حول التعليم ومشاكله المزمنة ودور الحكومة الحالية في الحل والتأزيم. فليس مفاجئاً أن نصف وضع التعليم المغربي بالمأزوم، وليس جديداً أن نعلق فشلنا التنموي على فشل المنظومة التربوية، لكن الإشكال يطرح حين نفشل في تشخيص الوضع ونبحث دوماً عن الحلول العرضية التي تنتج دوماً استنساخاً لنماذج متغيرة في أصلها ونشخصن الأزمة ضمن حسابات السياسة والمصلحة الظرفية.

عرفت سنة 1983 حدثاً بارزاً في تاريخ العملية التعليمية بالولايات المتحدة الأمريكية. فقد دق تقرير الرئيس الأمريكي رونالد ريغان "الأُمة في خطر: أمر إلزامي لإصلاح التعليم" ناقوس الخطر حول واقع التميز التربوي ومرتبة التعليم الأمريكي في التصنيف العالمي، حيث أشار في دراسات متعددة "وليست سرية" إلى تدني التحصيل الأكاديمي على الصعيدين الوطني والدولي في الشعب المختلفة: في قواعد اللغة والرياضيات والمواد المكتوبة وتوقف كذلك عند المقارنة مع التعليم خارج الولايات المتحدة حيث احتل الطلاب الأمريكيون صفوفا متأخرة. كل هذا استفز القيادة الأمريكية لإحداث النقلة النوعية في النظام التعليمي المشهود بها لحد الآن. وكان التوصيف على العديد من المستويات: المحتوى والمعايير والتوقعات والوقت والتعليم والقيادة والدعم المالي. ولأن الأمر أكبر من الاختلاف الحزبي فقد ظلت اللجنة التي أصدرت التقرير منعقدة حتى نهاية القرن العشرين ومهدت لخطوة بوش في 1990 المعنونة "أمريكا سنة 2000 استراتيجية للتعليم" والتي تضمنت الكثير من توصيات سلفه.

قد يفيدنا الاستئناس بالتجربة الأمريكية في فهم ظروف الإصلاح وسياقاته وضرورته. فقد أبرزت التلازم الضروري بين التعليم والتطور المجتمعي، فحين اكتشفت الولايات المتحدة أن نظام التعليم في اليابان وكوريا الجنوبية يتفوق على نظام التعليم عندها: أقامت مؤتمرًا دُعي إليه كبار رجال الدولة والمؤثرون في المجتمع بنفس عنوان التقرير: (أمة في خطر)؛ وذلك لأنه إذا كان خريجو الجامعات من هذين البلدين سيتفوقون على خريجي الجامعات في أمريكا؛ فإنها ستكون في خطر بعد عشر سنوات أو عشرين سنة، وعزته إلى قصور نسبي في نظامها التعليمي، فأجرت الإصلاحات اللازمة. فمن البديهي أن التعليم هو بوابة التقدم أو التأخر، وإذا كانت حكومات الإصلاحات الهيكلية قد اعتبرت التربية من القطاعات الاجتماعية المكلفة، فقد انطلقت من فهم قاصر للتنمية وسبل الاستثمار في الكائن البشري. لذا ليس مفاجئاً أن نوضع في ذيل قائمة الدول من حيث التنمية مادام فهمنا للعملية التعليمية لم يتجاوز النظرة النفعية الظرفية التي رأت وترى في مواد معينة مضيعة للوقت، واستعمال لغات محددة استفراغ للجهد فيما لا طائل فيه، وتنظر إلى الميدان برمته بمعيار التكاليف لا النتائج. فقد شهد المغرب منذ الاستقلال إلى يومنا هذا العديد من الإصلاحات التربوية والتعليمية، إلا أن جل هذه الإصلاحات كانت فاشلة بسبب ليس قلة الموارد المالية والبشرية، وإنما غياب الرؤية الاستراتيجية والفلسفة المؤطرة للقطاع. فالأصل الانطلاق من أمرين اثنين: إرادة سياسية حقيقية غير مرتبطة بحل الأزمات وتحديد الإطار المفاهيمي للمراد من العملية بأكملها.

فدور القيادة كما يبرز في النموذج الأمريكي في القضايا المهددة لوجود الأمة هو التفكير الاستراتيجي والقدرة على الارتفاع على الخلافات السياسية والإيديولوجية التي تملأ ساحات الفرقاء المجتمعيين والحسم في القضايا الخلافية. لكن الدور الأسمى هو الحفاظ على الثوابت والتراكمات التاريخية التي صنعت وجود الأمة وبدونها لن يكون لها وجود. فما عاشه التعليم ويعيشه، بعيداً عن النقاشات الحزبية هو تراكم أزمات هيكلية تتعلق بالمناهج الدراسية والموارد البشرية والتخطيط لكن الأكثر من ذلك هو غياب الجرأة لدى سادة القرار السياسي في الحسم في كل القضايا المتعلقة بالمسائل الهوياتية واتباع منطق التوازنات الاجتماعية. وفي هذا الإطار يمكننا مساءلة التجربة الماضية: هل كنا في حاجة لمخطط استعجالي أصلا كلف ميزانية الدولة أموالاً باهظة ودون استشارة الفعاليات المعنية التي وجدت نفسها مدعوة لتطبيق برنامج فوقي؟ وهل استطاعت القيادة السياسية تنزيل وأجرأة ميثاق التربية والتكوين؟ . فمن المعلوم أن سياق وضع المخطط الاستعجالي هو سياق الفشل المتتالي في البرامج المختلفة بدءا بتعميم التمدرس، والدعوة إلى مجانية المدرسة، وتوحيد المدرسة المغربية، ونظرية الأهداف، والأخذ بالنظرية التداولية، ونظرية الشراكة، واستلهام نظرية مشروع المؤسسة، واستنبات نظرية الكفايات، وتمثل نظرية الإدماج... وصولاً إلى الفشل في تطبيق بنود الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والتي أصبحت مقرراته مرفوضة على الرغم من طموحها الكبير، ولم يتم تنفيذ معظم تعهداتها بالرغم مما كلفته للدولة من جهود وأموال.

الهدف الأساسي للعملية التعليمية هو التنشئةُ على نفس القيم دفعاً للتناشز الفئوي المفضي إلى تفكيك الجماعة، وضبطاً للإيقاع الفردي الضامن لتماسك مكونات المجتمع. وعلى قدر نجاح النظام التربوي في التنشئة على نفس القيم الاجتماعية يضعف التناشز الطائفي المرخِّص للاستقواء بالأجنبي على الوطني، ويشتدُّ التناغمُ المجتمعي المانع من تسلُّل القيم النواشز التي تبثُّ الوهنَ في جسم الأمَّة ابتغاءَ تَفكيكِها. وما نعيشه في تعليمنا من خلال مداخله المتعددة والمتصارعة ينتج قيما متناقضة وغياب الرؤية النقدية للكفاءات المنظرة. ولو عدنا للنموذج الأمريكي لوجدنا أن وزير التعليم آنئذ صارع لترأس لجنة التقرير لكن الرئيس منحها لشخصية مستقلة، لأن الأمر أكبر من الولاءات الحزبية أو الإيديولوجية. والوعي وإن جاء متأخرا بأهمية التعليم ودوره المحوري في النهوض بالمجتمع وبتقدمه أمر أساسي وتقدم حقيقي في النقاش العمومي، لكن التوصيف والتقييم ينبغي أن ينطلق من معطيات حقيقية وواقعية بحثاً عن الحلول الناجعة التي ينبغي أن تنفذ بجرأة وباستشراف لمستقبل الأمة. لكن الأهم من ذاك وذاك أن يكون الإصلاح المقترح وطنياً وتشاركياً وليس عبر قرارات فوقية.

العالم الآخر

عبدالخالق بن عبدالله الغامدي

نحن البشر نعيش في عالم واقعي ومحسوس وهي الحياة التي نعيشها، وهناك من ينكر أو يشكك في وجود عوالم أخرى قبل وقتنا هذا أو حتى بعد الموت وفناء البشرية!

والمؤكد أن الإنسان لا يعيش وحيداً في مكان افتراضي أو يعتقد بأنه هو محور الكون، فهناك من يشاركه ويتقاسم معه حتى الهواء، وليس الحديثفي هذا المقال تأكيداً على أن هناك عوالم أخرى نشاهدها أو لا نشاهدها فهي في علم الغيب، ولا يعلمها إلا اللّه، ومن حكمته ورحمته – عز وجل – أنه أخبرنا ببعضها كعالم الملائكة وعالم الجن وما بعد الموت وغيرها من العوالم، وإنما الحديث هنا عن عوالم أخرى في عالمنا الواقعي المحسوس ينطبق عليها تصديق البشر ونكرانهم أو إقصائهم، إما بقصد أو دون قصد أو حسب المصالح وهي موجودة في حياتنا ولكن لا نلتفت لها أو لم نستكشفها.

فالإنسان ابن بيئته والبشر تختلف حسب الثقافات والعادات والتقاليد والمعتقدات، وطرق التفكير تختلف من شخص لآخر فلكل عالمه وطريقته وأسلوب حياته.

فلا تنكر أو تصدق حتى تتأكد، ولن تتأكد حتى تستكشف إما بنفسك بشرط وجود مهارات لاستكشاف أو استنباط المعلومة حتى ولو كانت للاستفادة والاقتناع الشخصي بها، ومشاركة الآخرين في صحتها وتأكيدها أو نفيها من خلال منهج علمي للبحث وعدم عزل العقل والتفكير الأحادي والانحصار في عالم خاص والتسليم للأهواء.

أوتستكشف من خلال معلومة حقيقية موثوقة تصلك عن طريق خبراء متخصصين يبحثون ويستكشفون عنك، ويقدمون لك المعلومة على طبق من ذهب، وأنت هنا لك الخيار إما أن تصدقها وتعمل بها أو تنكرها وتعمل على استكشاف المعلومة بنفسك.

وفي كل الحالات متى ما أدرك الإنسان وأستكشف عوالم أو ثقافات مختلفة حسب المكان والزمان واختلاف الحضارات والاهتمامات الشخصية والحاجات الإنسانية والفئات العمرية والمعتقدات الدينية وأنها تختلف من بلد إلى بلد، ومن طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى، ومن فئة الشباب إلى فئة كبار السن والمجتمع الذكوري والمجتمع الأنثوي.. وغيرها من التنوعات والأشكال التي تشكل عالم آخر عن ما يعيشه هو في محيطه الضيق وعالمه الخاص، ليعلم بعد ذلك أنه يجب عليه إذا كان يريد أن يقترب أو يخوض أو يعيش في أي عالم من العوالم الأخرى ويتعامل معها لابد أن يجيد لغة الحوار و طريقة التعامل مع هذا العالم أو ذاك باحترام من ينتسب لهذا العالم ويتقبل آراءهم دون المساس بمعتقداتهم وأسلوب حياتهم مهما كانت بالنسبة له غير ذات قيمة، فقد قال الكاتب البولندي جابريل لاوب "لنتعلم من الرياضيات عدم تجاهل الأصفار".

وأخيراً بعد التأكد من منهجية الاستكشاف والفهم واستخدام اللغة والأسلوب المناسب للبحث في العوالم الأخرى، يأتي بعد ذلك التعايش مع العالم الآخر دون أن يفرض عليه معتقدات ورؤى عالم الآخر الخاص.

يقول الطبيب والفيلسوف الألماني ألبرت شفايتزر "من يحترمون شخصيات الآخرين هم فقط من يستطيعون أن يكونوا ذوي نفع حقيقي لهم"، فليكن الحوار والاحترام المتبادل هي اللغة والأسلوب الذي يأخذنا جميعاً للحقيقة والنتيجة التي تنسجم مع الجميع دون أي خسارة أو انتصار لأي عالم، بعد ذلك بإمكان الإنسان بمفرده أن يختار ويقرر عالمه الخاص.

التربية المهنية ضرورة أم ترف؟!

هدى بنت ناصر الفريح
ماجستير في التوجيه والإرشاد

إن المؤسسات بل الدول والأمم لايمكن أن تشيد لها صرحا بدون أفرادها، وماهية هذا الفرد المهنية هي ما تصنع فارقاً جوهرياً في نوعية إنتاجيتها وجودة مخرجاتها، ماهيته الفرد المهنية تتشكل من خلال التربية المهنية التي تعرض لها خلال سنوات دراسته ماقبل الجامعية هل تعرض لخبرات واسعة من مهن عديدة، هل اطلع على أدبياتها الخُلقية ومتطلباتها الشخصية خاصة وعامة، وكيف يتصور بعدها الاجتماعي والاقتصادي والإنساني أيضاً وما هي أجورها واحتمالات سوق العمل لها وماذا عن مناسبة البيئة التي يتواجد بها أو البيئة التي سينتقل إليها وماذا عن الطلب والعرض لهذه المهنة على المدى البعيد، وهل اطلع على آخر الدراسات والإحصائيات المسحية التي تخص توجهه أو من ثم تساهم في تحديد هذا التوجه؟

إن الإجابة على كل هذه التساؤلات وغيرها لايكون إلا من خلال التوجيه والتربية المهنية التي تعد زاد لاغنى عنه للمعلومات الصحيحة والدقيقة والتي تعزز فهم الفرد لذاته وإمكاناته وقدراته واستعداداته المختلفة بما يتناسب مع ظروفه الشخصية والعائلية وبالتالي يتمكن من اتخاذ قرار مهني نافع وناجع يرسم له خارطة واضحة للتطوير والبناء والسير في النور بعيداً عن التخبط المهني الحاصل سواء خارج التعليم من قبيل ضياع وقت الفراغ دون تنمية القدرات وداخل التعليم في المدارس حتى يصل الطالب للمرحلة الثانوية ولايستطيع تحديد ميله الأدبي أو الشرعي أو العلمي إلى عمليات الإبدال والتحويل مابين التخصصات والتي تعاني منها الجامعات إلى معاناة البطالة وعدم التحرك إلا فيهاأو كل ذلك هدر للطاقات الفردية والمادية والمجتمعية!

على مستوى التعليم العام والعالي توجد جهود في التربية المهنية وهذه لاينكرها أحد يعمل في الميدان إلا أنها دون المأمول ومستوى الحاجة إليها لأن عملها كحملات وأيام موسمية لا كبناء تراكمي يؤتي أثره من خلال المناهج المخصصة والأفراد المؤهلين مثلا.

"وإذا تمنيت الحياة كبيرة ... بلغتها بكبيرة الأعمالِ"

إن المتأمل في الواقع الآن يدرك أن التربية المهنية ضرورة أساسية منذ دخول الطفل سن المدرسة لأجل النهوض بالأمة والوطن. إن التربية المهنية هي كما التربة الخصبة تشكل فرداً سوياً منذ الطفولة وإذا انعدم وجودها كانت أرضاً بواراً لا يدرك حقيقتها الفرد إلا بعد سنين عجاف مهدرة الكل فيها خاسر..وهنا نشير أن لكل منا دور في التربية المهنية علينا تفعيله باحترافية لنرتقي معاً.